



إيبروف

قصة قصيرة

سمر سرحان

دار أكاديمية الكاتب للنشر الإلكتروني



رئيس مجلس الإدارة: محمود كمال

المدير العام: محمد حسن

الطبعة الأولى

الكتاب: إبيروف

المؤلف: سمر سرحان

تصنيف الكتاب: قصة قصيرة

تنسيق وإخراج داخلي: محمود كمال

المقاس ١٤ * ٢٠

الترقيم الإلكتروني EBIN : 60-30-1-260312

التليفون : ٠١١١٢٣٥٧٤٧٣

Email:alkatebacademyforpublishing@gmail.com

موقعنا على فيس بوك: دار اكاديمية الكاتب للنشر الإلكتروني

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

(إيبروف)

انه الاختبار الذي ينزعك حتى جوهرك
تجربة وجود تهز كيالك وتحولك الي شخص مختلف

اترك يدك وعقلك وقلبك واستسلم لهذه التجربة التي ستمر
بها خلال سبعة أيام. سبعة أيام وكأن الوقت توقف في
حيالك التي اعتدتها عشرات السنين، لتعيش سبعة أيام
حياة جديدة تماماً عنك، تتعرف فيها على أشياء لم تكن
تعرفها. ربما تكون سمعت عن هؤلاء الذين عانوا من الحرمان
من أشياء معينه، ولكنك لم تعيش هذه الحياة من قبل،
وبعد تجربتك أنت وحدك من يقرر: هل ترغب في العودة إلى
حيالك السابقة الروتينية الرتيبة، أم أنك ترغب في تغيير
كل شيء وقلب حياتك رأساً على عقب؟

إيروف

وهي كلمة فرنسية معناها الاختبار الذي يغير حياتك.

أما قبل

استيقظت صباح يوم الاثنين في الرابع عشر من شهر أكتوبر، حوالي الساعة ١٠:٠٠ صباحًا على غير العادة، وكان هذا اليوم هو اليوم الفاصل في حياتي. قررت الخروج من البيت والذهاب لأبعد مكان عن بيتي. ركبت العديد من المواصلات: توك توك، ثم ميكروباص، ثم مترو الأنفاق، ثم تاكسي، ثم تراجلت قليلاً حتى وصلت إلى مكان فيه نوع غريب من البشر لم أتعرف عليه من قبل. كان المكان يشبه القصور القديمة المبنية على الطراز الأوروبي، لونه رمادي ويبدو أنه يوماً ما كان أبيض اللون. للقصر أسوار مرتفعة وبوابة حديدية عملاقة، وحين دخلت كان هناك ممر طويل يصطف على يمينه ويساره سيارات مختلفة الألوان والأنواع. ثم رأيت حديقة صغيرة في مقدمة القصر تعلوها درجات رخامية تنتهي بمدخل القصر وباب خشبي عتيق بني اللون مفتوح على مصراعيه.

كان في بهو القصر العديد من الشخصيات المعروفة، بعضهم يمثلون في التلفاز وبعضهم رأيتهم على شاشات الهاتف المحمول. يبدو أنني أفقر الموجودين، ولكني لا أبالي. دخلت رافعة الرأس مستقيمة الظهر، وتحكمت في نظرات عيني حتى لا أبدو مبهورة بكل هؤلاء المشاهير من حولي، وأنا المجهولة الوحيدة في هذا الجمع الهائل. اقتربت من الفتاة التي تقف خلف مكتب الاستقبال وسألتها عن كيفية الاشتراك، فأعطتني أوراقاً بها شروط الالتحاق واستمارات الاشتراك. قرأت الشروط التي كنت أعرفها من قبل: يسعدنا أن تشترك معنا في هذه التجربة النادرة، ولكن عليك أن تقرأ الشروط أولاً قبل الموافقة على الاشتراك.

الشروط:

- ١- أن يكون عمرك ما بين ٣٠ و ٥٠.
- ٢- أن تكون أعزب.
- ٣- أن تكون متفرغاً طوال فترة التجربة.
- ٤- أن تكون موافقاً على ما سيحدث لك من مفاجآت.
- ٥- أن تتقبل ولا تعترض على أي شيء سيحدث لك.
- ٦- أن توافق على أن التجربة مجانية تماماً وغير مربحة.
- ٧- ممنوع التراجع في منتصف التجربة.

وعلى من يخالف هذه الشروط والقواعد غرامة يقدرها الطرف الثاني، ولا يحق للطرف الأول الاعتراض. الرجاء عدم التوقيع إلا بعد التأكد من موافقتك على تلك الشروط.

وقعت باسمي دون تردد، فأنا أحتاج لهذه التجربة بعد كل هذا العمر الذي أمضيته من أجل لا شيء. حان الوقت للمجازفة وعدم الخوف، وممّ أخاف طالما لن أغضب ربي؟ فلا يهمني شيء. سأخوض التجربة حتى النهاية وأعيش هذا الأسبوع المختلف.

سلمت الأوراق لفتاة الاستقبال، فطلبت مني الجلوس حتى ينادوا اسمي، فجلست.

جلست أختلس النظرات من حولي وأشاهد هؤلاء المشاهير عن قرب؛ منهم من كان أجمل في الواقع، ومنهم من كان يظهر عليه علامات تقدم السن بخلاف صورته التي اعتدنا عليها خلف الشاشات، ومنهم من يضحك ويتحدث مع الجميع بتواضع، ومنهم من يجلس في غرور لا ينظر لأحد ولا يرد على أحد، وكأنه الطاهر بين الملوثين.

بدأت أرى بعض العوام أمثالي يأتون. هذا رجل يبدو أنه في الخمسين، ثم جاءت فتاة يبدو أنها عانس أو مطلقة، ثم جاءت سيدة يبدو أنها اشترت هذا الزي خصيصاً لهذا اليوم حتى إنها نسيت أن تزيل ورقة السعر. وها هو شاب يبدو في الثلاثينيات من عمره يرتدي نظارة شمسية لا تخفي انبهاره بالمكان وبالمشاهير ومن حوله.

كنا نجلس في مكان مخصص لنا، أما الباقون فكان لهم باقي الباحة يتجولون فيها، يأكلون ويشربون ويضحكون سويًا، وينظرون إلينا بين الحين والآخر وكأننا فئران تجارب رخيصة السعر جاؤوا لتجربة مجانية، أما هم فقد دفع كل منهم مبلغًا ماليًا ضخماً جدًا بالعملة الأمريكية حتى ينالوا هذا الشرف العظيم الذي سيزيدهم شهرة و غنى، وربما يُذكر أسماءهم في التاريخ لأنهم أول من دفع المال لدخول هذه التجربة التي تم تحدث من قبل.

نادوا اسمي، ولأنني كنت أول الحاضرين من العامة فكان اسمي في المقدمة. دخلت إلى غرفة واسعة بها طاولة مستطيلة يجلس عليها لجنة من خمسة أشخاص، معظمهم معروفو الشكل، يبدو أنهم شخصيات عامة.

قال أحدهم: تفضلي، عرفينا بنفسك.

فقلت: أنا محاسن إبراهيم أحمد، عمري ٤٥ عامًا، أرملة منذ خمس سنوات، ولي ولدان يعيشان خارج مصر. أعيش بمفردي في حي بسيط في عين شمس. لم أعمل من قبل، ولكني حاصلة على بكالوريوس تجارة عين شمس عام ٢٠٠٢.

قال أحدهم: أهلاً بحضرتك أستاذة محاسن، ممكن نعرف سبب تقديم حضرتك لهذه التجربة ومن أين عرفتِ بها؟

فقلت: صديقتي هي التي أخبرتني عن هذه التجربة، حيث إن زوجها يعمل في إحدى القنوات الفضائية، وحين سمع عن التجربة أخبرها

وهي أخبرتني. أما بالنسبة لسبب اشتراكي فهو الملل من روتين الحياة وعدم الشعور بالإنجاز بعد كل هذا العمر، والرغبة في التغيير والتجربة.

قال أحدهم: ممتاز يا أستاذة محاسن، ممكن تدينا فكرة عن هواياتك؟
فقلت: بصراحة ليس لي هواية. أنا أعيش مثل كل الناس، حياتي عادية. لم يكن جيلي يتمتع برفاهية الأطفال الحاليين من اشتراكات في ألعاب ونوادٍ وهوايات، لذلك لم أعرف لي هواية أبدًا.
قال أحدهم: هل تعانين من أي مرض؟
فقلت: لا

فسألني آخر: هل تعانين من اي رهاب أو فوبيا؟
قلت: نعم أحيانا من المرتفعات أو الأماكن الضيقة.

أخذوا ينظرون إلى بعضهم البعض، ثم طلب مني أحدهم الانتظار في الخارج.

كان التوتر يملكني حين كنت في هذه المقابلة، رغم أنني حاولت جاهدة ألا أكون مهزوزة وأن أكون واثقة ومرتزنة، ولكن يبدو أنني كنت ضعيفة وتافهة. لا بأس إن لم يختاروني، فسوف أبحث عن شيء آخر ولن أهتم بفشلي هنا. لقد تعودت على الفشل، وما عاد يحزنني أن أفشل مرة أخرى.

جلست أتابع الأحداث غير مبالية بالوقت، فأنا فارغة تمامًا، ليس لي ما أفعله غير الجلوس ساعات طويلة في صمت قاتل، أتذكر الماضي وأبكي على ذكرياتي والأيام التي مرت كالسهم سريعة دون توقف لالتقاط الأنفاس. كل شيء حدث في حياتي كان كأنه شريط فيديو يتم

تسريعه حتى انتهى فجأة دون شعور بالاستمتاع. كان كل شيء يأتيني فجأة وأنا غير مستعدة، لم أكن يوماً مستعدة لكل ما عانيت. زواج مبكر سريع ، ثم حمل وولادة توأم يملآن الحياة صراخاً وبكاءً وطلبات، وزوج غير مبالٍ يذهب إلى عمله ويعود لينام، ثم يفيق ليذهب إلى عمله مرة أخرى، وهكذا حتى خرج ذات يوم إلى عمله ولم يعد، حيث صدمته سيارة في طريق عودته، وأصبحت أرملة وأنا في الأربعين من عمري. لم أبكِ حينها، كنت في صدمة أفقدتني البكاء. كان وجوده صامتاً، ولكنه كان موجوداً، كان يشعرني بالأمان رغم صمته وسليبيته، ولكنه كان بجوارى، أطمئن بوجوده وأنام مرتاحة البال.

بعدها سافر التوأمين للدراسة خارج مصر لأنهما كانا من الأوائل في دراستهما، فجاءتهما منحة دراسية في جامعة بلندن، ولم أستطع أن أحرهما من هذا الأمر فوافقت رغم صعوبة الأمر على نفسي، ومن وقتها وأنا لا أفعل شيئاً غير الجلوس صامتة. لذلك حين أخبرتني هالة، صديقتي، عن هذه التجربة وأنها غير معلنه بشكل رسمي ، تحمست، وشعرت بأني لن أخسر شيئاً، ولماذا لا أجرب وأغير حياتي المملة؟

انتبهت من غفلي على صوت ينادي باسمي: محاسن إبراهيم أحمد، تم القبول. حضرتك تقدرى تحضري نفسك وتكونى موجودة الساعة ٨:٠٠ م قبل إغلاق الباب.

قلت: أشرك جداً، سوف أحضر في الموعد.

لم أستطع أن أركب تاكسي ثم مترو أنفاق ثم ميكروباص ثم توك توك، لذلك طلبت سيارة من إحدى التطبيقات، فالحماس كان يملؤني وأرغب في تحضير ملابسى وإغلاق شفتي وترتيب أمورى. لم يتبق

إلا بضع ساعات. ركبت السيارة وسرحت في طريق عودتي: ترى كيف ستكون هذه التجربة؟ وماذا سأستفيد؟ كيف سأخرج منها؟ وهل سأتأقلم معهم؟

ثم تذكرت أنني لن أستطيع الخروج من التجربة إذا ما تضايقت أو شعرت بأي شعور سيئ، لا بد أن أكمل هذه التجربة للنهاية، ولقد وقعت على هذا الشرط وتقبلته. حدثت نفسي مطمئنة: اهدئي يا محاسن، سيكون كل شيء على ما يرام، لا تقلقي، إنه أسبوع واحد وليس لمدى الحياة، مهما كانت التجربة سيمر الأسبوع سريعاً، فلا داعي لهذا التوتر الآن.

وصلت بيتي وجلست أفكر في أزهارى وعصافيري وهذه السلحفاة المسكينة، من يعتني بهم؟ اتصلت بهالة:

- السلام عليكم.
- وعليكم السلام، كيف حالك يا محاسن؟
- الحمد لله بخير.
- أخبريني، ماذا فعلت؟ هل ذهبت؟
- نعم، وتم قبولي.
- حقاً؟ هل أنت متأكدة من خوضك لهذه التجربة؟
- طبعاً يا هالة، ولماذا ذهبت إذاً؟
- أخشى ألا تكون تجربة جيدة فأكون أنا السبب.
- لا يا هالة، لست سبباً في شيء. أنا شخص كبير ناضج وعاقل، وأنا التي اخترت المشاركة، ثم أكملت: ما حجم الخسائر الذي ستحدث لي من هذه التجربة!
- عندك حق يا محاسن، لن تخسري شيئاً، ولكن أخبريني متى ستذهبين؟

- اليوم الساعة ٨:٠٠م
- بهذه السرعة؟
- نعم، هكذا قالوا لي.
- ثم أكملت: لي طلب عندك.
- ما هو؟
- أريد منك أن تمرّي ببיתי كل يوم مرة لإطعام العصافير وسقي الزرع.
- لا تقلقي يا محاسن، سأفعل هذا بكل سرور.
- أعتذر لك يا هالة، لا أريد تعبك، ولكني لا أملك حلاً آخر.
- لا عليك يا حبيبتي، هذا أمر بسيط. اتركي لي المفتاح وأنا سأقوم بكل ما ترغبين فيه.
- إذا سأترك لك المفتاح في عداد الكهرباء بجوار باب شقتي.
- اتفقنا إن شاء الله.
- تعرفين جيداً أنه غير مسموح لي باستخدام الهاتف هذا الأسبوع، لذلك أراك بعد أسبوع على خير.
- إن شاء الله يا محاسن، استودعتك في حفظ الله.
- خير من استودعت يا هالة.

أغلقت معها، ثم اتصلت بابني في لندن وأخبرتةما أنني ذاهبة إلى رحلة لمدة أسبوع، وأنني أرغب في الاستمتاع والهدوء والاستجمام، لذلك لن أحمل معي هاتفي. بدأت في تحضير شنطتي، وكان عليّ شراء بعض الأشياء، ولكن الوقت ضيق. لن أبالي، سأتعامل ببساطة، فهم لا يعرفون ملابسني، وأنا لا أرغب في التصنع، سأكون على طبيعتي وسأتعامل بكل تلقائية وبساطة. أغلقت شنطتي بعد أن تأكدت

عدة مرات من وضع كل ما سأحتاجه، ودخلت مطبخي لأغلق الغاز وأغسل أكوابًا كانت متسخة، وحملت كيس القمامة إلى الخارج. قاربت الساعة على السادسة، فطلبت سيارة أجرة، فلا داعي للمواصلات في هذه الظروف الطارئة ومعني شنطة. الوقت مبكر، ولكن الذهاب مبكرًا أفضل من أن أتأخر فيُغلق الباب وتضيع فرصتي في الاشتراك. جاءت السيارة، وها أنا أتجه نحو المجهول. تجربة نادرة الحدوث، وشخصية هادئة بسيطة عادية جدًا لم يسبق لها أن جازفت يومًا في حياتها، ماذا أنا فاعلة؟ ابتسمت لِنفسي وربتُ على يدي وقلت لِنفسي: ستكونين بخير، لا تقلقي.

وصلت إلى القصر قبل موعدي بحوالي نصف ساعة. كان المكان ممتلئًا بالناس، بعضهم موظفون، وبعضهم من المشاهير الذين رأيتهم في الصباح، وبعضهم مثلي من العامة. قبل أن يُغلق الباب بعشر دقائق كان هناك تنبيهات، وكانوا قد أرسلوا لنا سابقًا رقم القاعة التي سنتوجه إليها. أخرجت هاتفي وقرأت الرسالة، كانت القاعة رقم أربعة. صرت أتتبع الأسهم التي تشير إلى القاعة رقم أربعة. استقبلتني فتاة طلبت مني هاتفي، ووضعتني باسمي في إحدى الخزائن، وطلبت مني إعطاءها أي مجوهرات أو أي شيء ثمين، أعطيتها ساعتني وقلادتي، ولم أخلع دبلتي من يدي. ثم جلست حول الطاولة المستديرة التي يجلس عليها زملائي في التجربة.

أُغلق باب القاعة التي كنا نجلس فيها، وفُتحت أمامنا شاشة، وظهر رجل لم نعرفه، رحب بنا وتمنى لنا قضاء أسبوع مختلف ومشوق، وتمنى لنا أن نخرج بعد هذا الأسبوع ونحن في حالة مختلفة. أخبرنا أن علينا التوجه إلى غرفنا، ولكن بعد ساعه نمكثها سويًا للتعارف.

أخبرنا أيضًا أن غرف النوم هي للنوم فقط، وحين الاستيقاظ صباح كل يوم يجب الخروج من الغرف والتعامل مع بعض، وممنوع أن ينعزل أحد في غرفته، بل يجب أن نكون في مكان واحد دائمًا.

غداً يبدأ أول يوم في التجربة. ستستيقظون صباحًا عند الساعة التاسعة، وستبدأ التجربة، وستعلمون حينها أنكم فقدتم شيئاً ما، وستظلون طوال اليوم بدونها، وعليكم التأقلم والاستمرار في تجربتكم بشكل طبيعي بدون هذا الشيء الذي سيسلب منكم.

كما عليكم خدمة أنفسكم بأنفسكم وتقسيم العمل بينكم، فلا أحد يساعدكم في أعمالكم من تحضير الطعام وترتيب الفراش وباقي الأعمال اليومية، هذه مسؤوليتكم. متاح لكم النزول إلى الحديقة، فلکم سلم خاص بهذا الدور يتجه إلى الحديقة، ولكن لن تستطيعوا الخروج من القصر أو التواصل مع أي شخص طوال هذه الفترة.

لقد اخترنا منكم أربعة من المشاهير، ولكنهم ليسوا أصدقاء، وربما أول مرة يتقابلون سويًا في الواقع، أما الشخص الخامس فهو شخص عادي من عامة الشعب، وكذلك في كل دور من أدوار القصر الخمسة مجموعة مثلكم، ربما تتقابلون في الحديقة، ولكن ممنوع التحدث إليهم أو التعامل معهم. أما باب القصر الرئيسي فسيُغلق اليوم. لديكم كل ما يكفيكم من طعام وشراب وأدوية وإسعافات أولية. أتمنى لكم أسبوعًا ممتعًا جديدًا، وإلى لقاء قريب بعد أسبوع إن شاء الله.

ثم أغلقت الشاشة، فجلسنا ننظر بعضنا إلى بعض...
تحدثت الممثلة نور بادئة الحديث، قالت: أنا بالطبع معروفة، كلكم تعرفونني، ولكني لا أعلم أحدًا منكم، فتفضلوا عرفّونا بأنفسكم.

قال أحدهم، وكنت أراه على السوشيال ميديا: أحب أن أبدأ أنا فارس، المشهور بـ«فليكس بلوجر»، وعندي خمسة وثلاثون عامًا، مطلق وعندي بنت عندها سنتان تعيش مع أمها، ولي أعمال أخرى خاصة. فرحبنا به.

ثم قال الشاب الذي بجواره: وأنا رمزي راجح، كاتب محتوى، وعندي برنامج بودكاست مشهور اسمه «أحكي لي»، ربما يعرفه بعضكم. أنا في الثانية والثلاثين من عمري ولم أتزوج. درست في كلية الآداب قسم اجتماع، لكنني عشقت العمل على السوشيال ميديا وتفرغت له. فرحبنا به أيضا.

ثم قلت: وأنا محاسن إبراهيم، أرملة وأم لولدين، ولم أعمل من قبل، عمري خمسة وأربعون عامًا. فرحبوا بي.

وقال الفنان الأخير: أما أنا فمصطفى لطفي، ربما تعلمون صوتي لأنني أعمل في الإذاعة، ولكن وجهي غير معروف لكم. عمري خمسون عامًا، زوجتي متوفاة، ولي بنت وحيدة تعيش مع زوجها وأحفادي في الغردقة، وأنا أعيش بمفردي، لذلك أحببت أن أشرك في هذه التجربة.

أعطتنا الفتاة مفاتيح الغرف، وكل منا اتجه إلى غرفته لنتراخ قليلاً، ثم نتقابل بعد ساعة في غرفة الطعام.

كنا نسكن الطابق الرابع من القصر، وكان القصر خمسة طوابق، في كل طابق خمسة أشخاص مشتركون في هذه التجربة. لنا مطبخ خاص في كل دور، وخمس غرف، كل غرفة بها حمام خاص، ويوجد غرفة للطعام وغرفة للجلوس، ولا يوجد أي شيء من المسليات: لا تلفاز،

ولا راديو، ولا هواتف محمولة، ولا أجهزة كمبيوتر، لا شيء إلا التعارف والمشاركة في كل شيء.

دخلت غرفتي، كانت الغرفة بسيطة جدًا، بها فراش كبير ودولاب صغير وتسريحة وشباك يطل على الحديقة، وكان الحمام صغيرًا لكنه نظيف وبه كل ما أحتاج إليه. نقلت ملابسني إلى الدولاب، ثم اغتسلت وأبدلت ملابسني، وخرجت لأتجول في الدور المخصص لنا.

كان الرواق طويلًا ومتسعةً، وبه لوحات ومزهريات وقصاري زرع طبيعي، وكانت الغرف متجاورة، وكل غرفة عليها رقم. في آخر الرواق كان هناك باب مستدير، فتحته ودخلت، فإذا بالمطبخ، وبإله من مطبخ! إنه أكبر مطبخ رأيت في حياتي، وبه جميع الأجهزة وكل ما يمكن أن يحتاج إليه الإنسان من طعام وحلويات ومثلجات ومخبوزات، وبه طاولة دائرية عليها مفرش ملون، وكذلك كانت الستائر التي خلف النوافذ.

كانت النافذة تطل على منظر غريب رائع الجمال. كان القمر يتوسط السماء، وكان حجمه أكبر من أي يوم رأيت من قبل، يبدو أنه قريب جدًا، أم أن السماء كلها قريبة؟ لا أدري، ولكنها منيرة وصافية وبديعة. ينعكس ضوء القمر على خضار الحديقة، فتبدو الأشجار والأزهار اللامعة متألقة كلوحة رسمها فنان وانتهى منها الآن. يبدو أن أحدًا قد سقى الأشجار قريبًا، لأن خضارها وشفاء لونها كانا مميزين، وليس كالأشجار التي أراها دائمًا في شوارعنا. يبدو أن الاهتمام كبير جدًا بهذا القصر الغريب، حتى أبسط الأمور اهتموا بها.

سمعت صوتًا يقترب، فنظرت خلفي، فإذا بها نور قائلة: المنظر رائع.

فقلت لها: حقًا، إنه جميل.
 قالت: هل سيتأخر الباقون؟ أشعر بالجوع، كما أنني أرغب في النوم مبكرًا، فلا ندري ماذا ينتظرنا غدًا.
 قلت: نستطيع أن نبدأ في تحضير الطعام إلى أن يأتي الباقون.
 فقالت لي: من فضلك حضري لي طبقًا من بيض الأومليت والخبز المحمص، وأرغب في كأس من الشاي بدون سكر.
 نظرت لها بتعجب وقلت: أستاذة نور، هذا ليس عملي، وكانت التعليمات واضحة جدًا أننا يجب أن نتشارك في كل شيء.
 فضحكت نور باستهزاء وقالت: ولكني لست معتادة على مثل هذه الأعمال، لدي الكثير دائمًا في خدمتي.
 فقلت لها: ولكنك وافقت على الشروط قبل الاشتراك.
 قالت: لا يهمني الشروط، ولكن أريد أن أكل الآن، فأنا جائعة ولا أستطيع أن أفعل شيئًا بنفسى.
 قلت لها: أعتذر يا أستاذة نور، هذا ليس عملي.
 فقالت: ماذا تقصدين؟ ومن سيحضر لي طعامي؟ أنتِ المرأة الوحيدة هنا.

تمالكت أعصابى، وقبل أن أقوم بالرد دخل علينا فارس ومصطفى، يبدو أن صوتنا بدأ يعلو قليلًا. فتدخل مصطفى قائلاً: يا جماعة، من يستطيع عمل شيء فليفعله وليساعد الآخرين. أنا مثلاً رجل كبير ولم أدخل المطبخ من قبل، وكذلك الفنانة نور لا يجب أن تمد يدها على شيء.

كادت الصدمة أن تحرق كل دمي، ولكن رمزي دخل وقال:
 أستاذنكم، اليوم كل واحد يعمل ساندوتش لنفسه سريعًا ونهني هذا

الأمر الآن ونتحدث غدًا في الصباح، لأن اليوم كان مرهقًا جدًا، وكلنا مرهقون ونحتاج إلى الراحة.

فقال فارس وهو يتجه نحو الثلاجة: وأنا من رأيك يا رمزي، أنا عن نفسي جائع جدًا. وأخرج علب الجبن وقام برصها حوله على الطاولة، وبدأ يتناول طعامه دون تعليق.

ذهبت لعمل كوب شاي لنفسي، ثم قمت بعمل طبق من البيض الأومليت لنفسي، وكذلك جلس رمزي بجوار فارس يشاركه الطعام، وظلت نور ومصطفى يشاهدان ما يحدث حولهما. وبعد قليل قام مصطفى لينضم للرجال ويأكل معهم، أما نور فأخذت كوبًا من العصير وزجاجة ماء من الثلاجة، ثم اتجهت إلى غرفتها.

بعد انتهاء العشاء، كاد الرجال أن يخرجوا من المطبخ تاركين كل شيء خلفهم، فقلت: من فضلكم تنظيف ما وراءكم واسترجاع العلب إلى الثلاجة. فوقفوا لحظة صامتة، ثم بدأ فارس في حمل العلب، وذهب رمزي لغسل الأكواب، ومصطفى ظل جالسًا مكانه لا يدري ماذا يفعل. فأنهيت غسيل طبقي وخرجت إلى غرفتي تاركة إياهم.

استلقيت على فراشي أحرق في سقف الغرفة، لم أعتد على النوم خارج بيتي من قبل.

حدثت نفسي: يا محاسن، إنه أسبوع. وبدأت أردد أذكري قبل النوم، فسمعت صوت خطوات خارج غرفتي. قمت على مهل وفتحت جزءًا من الباب ناظرة خارج الغرفة، فإذا بنور تسير على مهل متجهة إلى المطبخ. فضحكت وأغلقت الباب وقلت لنفسي: ستعتاد على خدمة نفسها.

عدت إلى فراشي مرة أخرى، وجاءني هاجس: ترى ما هو الشيء الذي سنفقه غدًا؟ ثم قلت لنفسي: لا، لا تفكري، نامي وارتاحي ولا داعي للانشغال بما سيحدث غدًا. أكملت أذكاري ونمت في ثبات عميق، وهذا ما أدهشني، كيف نمت بهذا الثبات وأنا خارج بيتي؟ ولكن الصمت والهدوء والفراش النظيف المريح ساعدوني على النوم بلا إزعاج.

* * * *

اليوم الأول

استيقظت على نور الصباح يملأ غرفتي، فكانت الستائر هنا لا تحجب أشعة الشمس، وكان ذلك ليساعدنا على الاستيقاظ وعدم النوم صباحًا. غسلت وجهي وتوضأت واصلت، ثم اتجهت إلى المطبخ. كنت أرثدي بجامتي، وحين دخلت المطبخ لتناول الفطور رأيت الرجال يجلسون حول الطاولة.

فقلت: صباح الخير. ردوا: صباح النور.

كان الأسى يبدو على وجوههم، ويتناولون طعامهم غير متلذذين. فسألتهم: هل حدث شيء؟

قال لي فارس: ما رأيك أن تتذوقي هذا الطعام؟

قدم لي شريحة من التوست المحمص بداخلها جبنه سائحة وعليها خضروات، وشكلها شهى جدًا. فشكرته وقربت الشطيرة إلى فمي... ما هذا؟

لا يوجد طعام! رفعت عيني، فإذا بهم ينظرون إليّ ويرغبون في التأكد من شعوري.

فقلت: هل فقدنا حاسة التذوق؟ فأشار لي رمزي إلى أن أشم. ترك فارس طعامه وقام يستغفر الله، أما مصطفى فأكمل طعامه وهو يقول: بسيطة، المهم أن تشبع البطون، وليس من المهم أن يكون للطعام طعم أو رائحة.

كان شعوري غريبًا، لأول مرة أتناول الطعام بلا طعم ولا رائحة، وكأنني أملأ معدتي وفمي بلا شيء، أما الشاي فكان أبشع ما يكون، لم أستطع أن أشربه.

جاءت نور وقالت: صباح الخير. رددنا عليها: صباح النور.

قال مصطفى: تفضلي يا فنانة، لقد صنعت لك شطيرة لذيذة جدًا.

فقلت له نور: هل لي بكوب من القهوة؟

قام مصطفى وقدم لها الطعام، ثم قام ليحضر لها قهوتها. بدأت تتناول طعامها، ثم صاحت: هل هي حاسة التذوق؟ فرد فارس: والشم أيضًا. انقلب وجهها وكأنها ستفرغ ما أكلته، ولم تستطع أن تشرب قهوتها بلا طعم.

فقلت لهم: يا جماعة، هذا أول يوم لنا وما زلنا في أول التجربة، وكلنا كنا نعلم أننا سنفقد شيئاً مهماً اليوم، فلم التعجب؟ يجب أن نتأقلم مع عدم التذوق، إنه مجرد يوم.

فرد رمزي: حقًا ما تقولين يا أستاذة محاسن. قال مصطفى: أنا لا أشعر بأن هذا شيء مهم، طالما تشبع البطون فلا شيء يهم.

تدخل فارس: بسيطة يا جماعة، الأمر سهل جدًا، تعالوا نفكر كيف سنقضي باقي اليوم.

قالت نور: ليتنا نخرج من المطبخ، لأنني لا أستطيع تحمل عدم قدرتي على التذوق والشم.

قام مصطفى وأخذ فنجان القهوة لنفسه، ثم خرج الجميع متجهين إلى غرفة الجلوس.

فقلت لهم: أعتقد أننا يجب أن نتحلى بجزء من المرونة، لقد وافقنا كلنا على هذه التجربة وكنا نعلم أن الموضوع ليس سهلًا.

قالت نور: لقد اشتركت ودفعت كل هذه الأموال لأجرب شيئاً جديدًا وممتعًا ومختلفًا، ولم أكن أعلم أنني سأخدم نفسي وأني سأتعامل بهذه الطريقة.

فقلت لها: يجب أن نتعلم من التجربة ونستفيد منها، لماذا لا نفكر في الحكمة من سلب هذه الحواس منا؟ وما الغرض من هذه التجربة؟

فقال رمزي: أعتقد أن الغرض هو التفكير والتأمل فيما نملكه من نعم. فقلت: الحمد لله علي نعم الله. تدخل مصطفى قائلاً: أرى أنكم تكبرون الأمر، الموضوع سهل جداً، نحن في الطبيعي لا نأكل لنتذوق بل نأكل لكي لا نموت من الجوع، أما التذوق فهو متعة إن كانت موجودة فخير، وإن لم تكن موجودة فعلياً أن نأكل لنعيش.

قال فارس: ما رأيكم لو نتحدث في شيء آخر ونتعرف أكثر على بعض؟ ما زال أمامنا اليوم طويل.

قال رمزي: ما رأيكم لو نلعب لعبة؟. قلت: ماذا تقصد؟ قال: أي لعبة جماعية تقربنا من بعض وتجعلنا ننسى فقداننا لتلك الحواس اليوم. قالت نور: أنا لا أحب الألعاب ولا أهتم بهذه التفاهات. فقلت: أرى أنها فكرة جميلة، وأنا عندي لعبة سوف تعجبكم. قال رمزي: وما هي يا أستاذة محاسن؟

قلت لهم: لعبة «ماذا لو». سوف نحضر زجاجة ونضعها على الطاولة، ويقوم شخص منا بلفها، فإذا اتجهت فوهة الزجاجة أمام شخص يسأله الذي أدارها سؤالاً يبدأ بـ «ماذا لو». تحمس الجميع واضطرت نور أن تشترك معنا. قال مصطفى: أنا أبدأ. مسك الزجاجة وأدارها فوقفت أمام نور، فسألها: ماذا لو لم تكوني ممثلة؟

فكرت قليلاً نور ثم قالت: كنت سأعمل شرطية. اندهش الجميع، وسأل مصطفى: ولكن هذه الوظيفة ليست مناسبة لك! فقالت نور: وهل شرح الأسباب هذا أيضاً من ضمن اللعبة؟ فقلت لها: إنها فرصة لنتعرف على بعض أكثر ونتقرب أكثر، ولك الحرية في الرد أو الرفض.

فقالت نور: لقد قمت بدور شرطية في أحد أفلامي، وكنت مستمتعة جداً لدرجة أنني أحببت الدور وشعرت بنفسي أقرب لهذه البطولة.

ثم أدارت نور الزجاجة فوقفت أمام فارس، فسألته: ماذا لو أصبح معك ملايين الجنيهات؟

ضحك فارس وقال: لو كان معي ملايين، كنت أول شيء أشتري طائرة خاصة وأسافر بلدان العالم، وأشتري في كل بلد بيتًا، وأتزوج من كل بلد أجمل فتاة فيه، حتى يصبح لي في كل بلد أبناء، وأبني قصرًا كبيرًا كهذا الذي نحن فيه، وكل عام أجمع فيه زوجاتي وأبنائي، وأضع كرسيًا كبيرًا يكون عرشًا لي في منتصف البهو وهم يجلسون حولي.

قاطعته رمزي: كفى، كفى يا فارس، لقد ذهبت بعيدًا جدًا! قف يا صديقي، فإن لك فقط أربع زوجات! فضحك الجميع.

ثم أدار فارس الزجاجة فوقفت أمام نور مرة أخرى، فسألها: ماذا لو فتحت باب بيتك فوجدت طفلة رضية؟ فكرت نور برهة من الوقت، وتخيلت الطفلة الجميلة بين يديها، وهي التي حُرمت من الأمومة وضحت بها بسبب عملها. رأت نفسها تقبل الطفلة وتحضنها وتضمها إلى صدرها، ثم انتبهت وقالت: سوف أتصل بالشرطة ليأخذوها، ولن أتدخل في شأنها. نظرت إليها وعلمت أنها كاذبة، وأنها تخفي خلف هذه الشخصية القاسية شخصية أخرى لا تود أن تظهرها للناس، ولكني تعاطفت معها، لا أدري لماذا، ولكن أشعر بأن نور شخص آخر غير الذي تظهره... أدارت نور الزجاجة فوقفت أمامي، فسألتنى: ماذا لو كان زوجك ما زال على قيد الحياة، هل كنت ستشاركين في هذه التجربة؟ فقلت: أعتقد أن إسماعيل، الله يرحمه، لو كان ما زال على قيد الحياة ما كنت فكرت أبدًا في هذه التجربة، لأنني كنت مشغولة به وبأولادي، وما دفعني للتجربة هي الوحدة التي أصبحت أعاني منها. اغرورقت عيني بالدموع وأنا أتذكر حياتي الروتينية الهادئة، وأتذكر استسلامي لكل شيء وعدم رغبتني في تغيير أي شيء، حتى إنني لم

أغير أي كرسي من مكانه طوال عشرين عاماً.
انتبهت على صوت فارس: دورك يا أستاذة محاسن.
فمسكت الزجاجاة وأدرتها فوقفت أمام مصطفى، فسألته: ماذا لو عاد بك الزمن، هل كنت ستعمل في الإذاعة؟
فقال: أعتقد أنني كنت سأكمل في الإذاعة، ولكني أيضاً كنت سأسعى أكثر إلى أن يعرف وجهي الجمهور، وكنت سأسعى إلى البرامج التلفزيونية، وربما كنت أحاول تجربة التمثيل.
فضحكنا جميعاً، وقالت نور: كنت أصبحت زميلاً لي،
وما كنت ستستمتع الآن بصحبتني في هذه التجربة.
فقال مصطفى: يكفي أنني كنت سأمثل معك يا فنانة، إن هذا لشرف لأي إنسان.
ثم أدار الزجاجاة فوقفت أمام فارس، فزجر فارس مازحاً: ألا يوجد غيري اليوم؟ تفضل يا أستاذ مصطفى، اسأل.
فسأله مصطفى: ماذا لو طلب منك تحضير وجبة الغداء لي؟
فضحك الجميع، وقال فارس: يا أستاذ مصطفى، ما الفرق بين وجبة الغداء وهذا الورق؟ وأشار إلى أجندة موضوعة على الطاولة. أعتقد أن الاثنين لهما نفس المذاق، فما فائدة التعب في المطبخ إذا؟
انشغلنا في اللعبة بعض الوقت، وبعد انتهائها أصبح بيننا نوع من الألفة وذاب بعض الجليد الذي كان بيننا.
جلست نور تتصفح إحدى المجلات، وذهب مصطفى إلى المطبخ يأكل بعض الفواكه، أما فارس ورمزي فكانا يلعبان الطاولة، أما أنا فجلست بينهم لا أفعل شيئاً سوى متابعتهم في صمت

* * * *

اليوم الثاني

استيقظت على ضوء الشمس يملأ حجرتي، فقامت بكسل إلى الحمام،
وملأت أنفي برائحة معجون الأسنان حين بدأت أغسل أسناني،
فحمدت الله على عودة حاستي الشم والتذوق، وابتسمت لنفسي في
المرآة وقلت: ترى ماذا فقدنا اليوم؟
أنهيت حمامي وصلاتي، وخرجت متجهة إلى المطبخ، فلم أجد أحدًا.
وقفت أحضر كوبًا من القهوة، فكم افتقدتها بالأمس، وكم أعشق رائحة
البن المطحون! استمتعت برائحته وحمدت الله كثيرًا على نعمة الشم
والتذوق، وشعرت بأهمية التجربة فعلاً.
كان يومًا صعبًا جدًا قضيناه دون تذوق أي شيء، فكان يومًا سادة بلا
طعم، ولو لا لعبتنا لكان اليوم سخيفًا جدًا.
التفت فجأة، فإذا بفارس يقف خلفي ويصيح بلا صوت، كنت أرى فمه
منفرجًا ولكني لا أسمع شيئًا. نظرت إليه فاتسعت حدقتا عيني. قلت:
ما بك يا فارس؟ ثم انتبهت، أنا لا أسمع نفسي ولا أسمع فارس! لقد
أصابنا الصمم! أشرت إليه أن يهدأ، وقلت وأنا أحرك شفتي ببطء حتى
يفهم ما أقول: لقد فقدنا حاسة السمع. فأومأ برأسه استياءً.
فأحضرت ورقة وقلماً وكتبت له: لا عليك، سيمضي اليوم كما مضى
الأمس، والآن استمتع بتذوق فطورك. ورسمت وجهًا مبتسمًا، فابتسم
لي.
جاء الباكون الواحد تلو الآخر، وبدأنا نكتب لبعضنا ونضحك بلا
صوت. لا نشعر ولا نسمع إلا صوت الصمت. يا له من شعور مؤلم!
كم من أطفال لا يسمعون يعيشون في عالم معزول تمامًا عن الناس!
إن هذا الصمت قاتل، حتى إنني لا أسمع صوتي الداخلي، إنه صمت
رهيب.
اقترح علينا مصطفى أن ننزل إلى الحديقة، فوافقنا جميعًا، وأحضر

كل منا أوراقه وقلمه، ونزلنا خلف بعضنا البعض. تقابلنا مع المشتركين الآخرين، رأينا شفاههم تتحرك، فيبدو أنهم لا يشتركون معنا في نفس الأشياء المفقودة. كان كل فريق يجلس منفردًا، يبدو أنهم فقدوا أشياء أخرى مختلفة.

جلسنا حول الطاولة المستطيلة في الحديقة، كانت الشمس ساطعة ترسل أشعتها لتغمر المكان، وكان النسيم يحمل رائحة الأزهار التي حُرمتنا من استنشاقها بالأمس، فكان كل شيء نشمه أو نتذوقه يجعلنا نحمد الله على هذه النعم.

جلسنا نفكر في شيء نفعله أو لعبة نلعبها بدون أن نتحدث، فأخرج رمزي ورقة وكتب لنا: لعبة بدون كلام هي أنسب لعبة اليوم. فوافقنا، وانقسمنا إلى فريقين، أنا وفارس فريق، ومصطفى ونور فريق، أما رمزي فكان الحكم.

لعبنا وضحكنا حتى موعد الغداء، ثم سعدنا إلى الطابق المخصص لنا لنقوم بتحضير وجبة الغداء.

قلت لهم: إني سأحضر لنفسي إسكالوب باننيه وخضار سوتيه. فقالت نور: وأنا مثلك، هل يمكن أن تخبريني كيف أصنع طعامي معك؟

فرحبت بها وأخبرتها ماذا تفعل، وطلبت منها غسل الخضار وتقطيعه ثم وضعه في الحلة. انشغل الرجال في تحضير طعامهم، أما أنا فكان انشغالي الأكبر بنور، وكان تأكدي يزيد في كل تعامل معها أنها تخفي شخصًا لطيفًا جدًا خلف هذه الشخصية القاسية.

كان هذا الصمت يدعوني للتأمل بصورة كبيرة، لذلك اقترحت عليهم بعد الغداء أن نجلس في التراس على الأرض مثل الذين يمارسون اليوغا، فنأمل في صنع الله، ننظر إلى السماء، نشم الهواء بعمق، نجعله يملأ رئتينا وعقلنا وكل ذرة في جسمنا، نستمتع بكل رائحة جميلة نحبها، نتفكر في أهمية الحواس التي فقدناها وكيف كان تأثيرها علينا.

أشاروا لي أنهم موافقون. كتبت لنا نور: أعطوني وقتًا أذهب لارتداء شيء مريح. فذهبت إلى غرفتها. فكرت قليلاً، أنا أيضاً ارتدي ملابس غير مريحة، سأذهب لغرفتي لأرتدي شيئاً مريحاً حتى أستطيع الجلوس على الأرض براحة.

اجتمعنا في التراس وجلسنا على شكل دائرة. أحضرت نور شمعة عطرية برائحة الزنبق لتساعدنا على الاسترخاء، وكالعادة كان كل نفس نستنشقه نحمد الله على هذه النعمة الجميلة. أما الصمت فكان رائعاً في التأمل، ساعدني كثيراً، وكأني عملت «كتمًا» للحياة. أعلم أنه شعور مؤلم، لكنه مريح ليوم واحد فقط، وأعتقد أننا بين الحين والآخر نحتاج إلى هذا الصمت.

* * * *

اليوم الثالث

استيقظت وقد عادت حاسة السمع، فسمعت مصطفى يغني بصوت مرتفع، وكأنه يعيش بمفرده أو أنه ما زال يعاني من صمم الأمس. ارتديت ملابسني بعد أن توضأت وخرجت لمقابلتهم في المطبخ. أقيت عليهم تحية الصباح، وكانوا جميعًا متواجدين يستمتعون بسماع أصواتهم وأصوات غناء مصطفى المزعج، وكأنهم لا يصدقون أنهم يسمعون.

أحضر كل منا طعامه وجلسنا جميعًا نأكل ونتحدث في ضوضاء، وكأننا نعوض ذلك الصمت الذي عشناه بالأمس. ثم سكت الجميع فجأة ونظرنا إلى بعضنا البعض، وقلت: نسمع ونشم ونتذوق، فماذا فقدنا اليوم؟

ظللنا ن فكر جميعًا في الشيء الذي فقدناه اليوم، وبينما كل منا شارد يفكر، إذا بمصطفى يمسك تفاحة وسكينًا ويقطع التفاحة وهو شارد دون أن ينظر إلى يده، فإذا به يقطع أصابع يده دون أن يشعر، وانفجرت الدماء من يده. فصرخت قائلة: مصطفى، ماذا بك؟ انتبه! ألا تشعر؟

نظر الجميع وانصدم مصطفى من هول ما رأى من الدماء، وقال: لا، لا أشعر، لا أشعر بشيء، أعطيني منديلك. أعطيته منديلًا وضغطت على الجرح، وساعده رمزي على غسل يده تحت صنوبر الماء، ولكن الدم لم يتوقف. لا يوجد معنا هواتف أو أي وسيلة للاتصال بالعالم الخارجي، ماذا نفعل؟

ذهبت نور تبحث في كل مكان عن شنترة الإسعافات، وبالفعل وجدت واحدة، وساعدت فارس ورمزي على ربط يده وإيقاف تدفق الدماء، وهو يردد كل حين: لا أشعر بشيء، لا أشعر بشيء. فانتبهت لقوله وقلت: إذا هي حاسة الإحساس بالألم.

بعد قليل قام رمزي لإعداد كوب من القهوة، ولم ينتبه أيضاً للنار التي التهمت يده وهو لا يشعر. كنا نتبادل الحوار ولا ننظر إليه، حتى تفاجأنا بشكل يده والجلد محترق تماماً. يبدو أنه حرق شديد من الدرجة الأولى، وقد انسلخ الجلد، وكل ذلك حدث دون أن يشعر رمزي.

وقفنا لا ندري كيف نتصرف. إنه لا يتألم، ولكنه حتماً سيشعر غداً بأسوأ شعور في العالم. قلت له: يجب أن ننتبه جيداً، فربما يُصاب أحدها مرة أخرى دون أن يشعر، يجب علينا الانتباه والنظر جيداً لكل ما نقوم بعمله.

ظل التوتر يصاحبنا باقي اليوم، ولم نستطع اللعب أو التأمل أو فعل أي شيء. كان الخوف من أي حادث شديد جداً، وذلك جعلني أفكر كثيراً: كم من المرات كنت أتألم دون أن أعلم أن هذا الألم له فائدة؟ هذا أمر لم يخطر على بالي. كيف يكون الألم مفيداً ومهماً؟ ماذا لو أصيب شخص منا بالزائدة الدودية مثلاً وهو لا ينتبه ولا يتألم حتى انفجرت الزائدة فمات؟ ماذا لو مرض أحد أبنائي وهو طفل صغير وظل صامتاً لا يبكي، فظننت أنه بخير حتى طلع النهار وإذا به ميت من المرض؟ وغير ذلك من الأحداث التي تخبرنا بأن الألم مفيد.

يا الله، لم تخلقنا عبثاً، سبحانك يا ربي.

* * * *

اليوم الرابع

استيقظت من النوم فإذا بالعالم من حولي أسود، لم تطلع الشمس اليوم. أشعر بعيني مفتوحة، ولكن هناك سواد عميق. ما هذا؟ هل فقدت بصري اليوم؟

خرجت من غرفتي أتحسس كل شيء، وكلما سرت اصطدمت بشيء فألمني جسمي. يا الله، كيف هو حال رمزي ومصطفى الآن؟

خرجت بصعوبة من غرفتي أتحسس طريقي إلى المطبخ، وحين دخلت بدا أن الجميع هنا. فقال مصطفى: أنا لا أرى، ولكني أتألم ألمًا شديدًا، فليبحث لي أحدكم عن مسكن.

فقال رمزي: أنا استيقظت على ألم غير محتمل، ووصلت إلى المطبخ بصعوبة كبيرة، والحمد لله أني استطعت أن أصل وأضع يدي في الثلج، والآن أحتاج إلى مرأهم وعلاج ضروري، ماذا سأفعل؟

قال فارس: ربما نستعين بأحد من الأدوار الأخرى.

فقلت: ولكن هذا ممنوع، يجب أن نعتمد على أنفسنا.

قالت نور: معي في حقيبتى مسكن قوي جدًا أحضرته من باريس، أستطيع أن أعطيكم منه، سيساعدكم جدًا حتى ينتهي اليوم، وغداً نبحث عن علاج لكل منكم.

فرح رمزي وقال: أسرع يا أستاذة، فأنا لا أتحمل ما أنا فيه.

قالت نور: كيف أسرع؟ لقد جئت بأعجوبة. سأذهب الآن.

فقلت لها: سوف أساعدك.

مددت يدي فأمسكت بي نور، وتحسسنا طريقنا حتى وصلنا إلى باب غرفة. فتحنا الباب ودخلنا، ولكن نور وقفت وقالت لي: يا محاسن، هذه ليست غرفتي.

فقلت لها: كيف عرفت؟

قالت: لا أملك كرسيًا خشبيًا في غرفتي.

فتحسسنا طريقنا حتى خرجنا وأكملنا طريقنا إلى أن وصلنا إلى باب

آخر. فتحت نور الباب ودخلنا، وقالت: إنها غرفتي.

فقلت: وكيف عرفت؟

قالت: من رائحة عطري، أعرفها جيدًا.

ابتسمت وقلت: نعم، صدقت، إنها رائحتك.

بحثت نور عن حقيبتها، وحين وجدتها بحثت بداخلها عن علبة الدواء

وقالت: ها هو، وجدته.

فقلت لها: هل أنت متأكدة أنه المسكن؟

فقالت: لا أملك إلا هو، فلا أتناول أي أدوية أخرى.

خرجنا من الغرفة واتجهنا إلى المطبخ، وأعطينا لكل منهما قرصًا من

الدواء، وجلسنا بعد ذلك نرتاح من الارتطامات التي قابلتنا في

طريقنا.

تحدث مصطفى قائلاً: ماذا سنأكل؟

فانفجر الجميع في الضحك. لقد كان العمى أكثر الحواس أهمية حتى

الآن من وجهة نظري، ويحتاج إلى موهبة خاصة، ولا يتحمله أي

مخلوق. فالظلام القاتم والسواد الأعظم خانقان جدًا ويدعوان للجنون.

أكل كل منا ما استطاعت يده الوصول إليه، وشربنا العصائر بدل

الشاي والقهوة، وتبادلنا الأكواب بعد أن تذوقنا ما نشرب. كان هذا

اليوم من أطول أيام الأسبوع، رغم أن كل الأيام كانت طويلة جدًا،

لأنها تمضي بدون أي شيء مسلّ إلا الكلام فيما بيننا.

أما اليوم المظلم فكان أصعب الأيام وأطولها. لم ينته إلا بعد عناء

شديد، عانينا فيه من ارتطامات وخطبات وأخطاء في كل شيء، حتى

إني استيقظت في اليوم الخامس لأجد نفسي مرتدية ملابس غير

مناسبة مع بعضها، فضحكت على نفسي وقلت: الحمد لله أنهم لم

يروني بالأمس.

* * * *

اليوم الخامس

أنهيت روتيني اليومي في الحمام وأبدلت ملابسي وخرجت. كالمعتاد كان المطبخ هادئاً، ورمزي يقف صامتاً ينظر من النافذة، ويده ملفوفة بشاش أبيض، يبدو أنه يتألم.

فقلت: صباح الخير يا رمزي.

فقال: صباح النور، هل ما زال الباكون نائمين؟

قال: يبدو ذلك.

قلت: كيف حالك اليوم؟

قال: أتألم قليلاً، ولكنني وضعت المرهم والشاش مؤقتاً حتى ينتهي الأسبوع وأذهب للعلاج.

قلت: أعتقد أنك ستحتاج إلى طبيب تجميل.

قال: لا يهمني الآن إلا أن يتوقف الألم وأستطيع استخدام يدي.

فقلت: إن شاء الله. تفنكر ماذا سنفقد اليوم؟

دخلت نور قائلة: صباح الخير، كيف حالكم؟

قلنا: الحمد لله، وأنت؟

قالت: الحمد لله. كيف حالك الآن يا رمزي؟

قال: أحسن، الحمد لله.

قالت: هل علمتم ماذا فقدنا اليوم؟

دخل علينا فارس وفي يده ظرف قائلاً: لقد وجدت هذا الظرف في الرواق.

قلنا له: افتحه لنعرف ما به.

فتح فارس الظرف، فوجد ورقة مكتوباً فيها: «في الساعة ٩:٠٠ تماماً

سيتم بث كل ما تفعلونه بثاً مباشراً على الهواء، وينتهي في الساعة

٩:٠٠ مساءً».

صرخنا جميعاً: ما معنى هذا؟

جرت نور إلى غرفتها لترتدي وتضع المساحيق، وذهب فارس ليخبر مصطفى، وذهبت أنا أيضًا إلى غرفتي لأفكر ماذا سأفعل. دخلت غرفتي أنظر في الأركان وأفكر: هل كانوا يصوروننا منذ البداية؟ هل كل شيء كان مباحًا للجميع؟ لم نمضي على ذلك الاتفاق، هذا مخالف للعقد. ولكن قلت لنفسني: اهدئي يا محاسن، لا يوجد ما تخجلين منه. ثم قلت: بل يوجد! لقد كنت أجلس بالبيجامة معظم الأوقات، وأرفع شعري عاليًا، ولا أضع المساحيق. لقد كنت بشعة بالطبع.

دخلت الحمام، فهو أكثر الأماكن أمانًا الآن. ارتديت ملابسني واهتمت بشعري جيدًا، ووضعت المساحيق، وارتديت حذاء بكعب عالٍ، وخرجت قبل الساعة التاسعة بعشر دقائق.

اجتمعنا في غرفة الجلوس، وكل منا في كامل أناقته، وكأنا على موعد مع شخصية هامة أو لحضور مناسبة مهمة. جلسنا ننظر إلى الساعة وعقاربها التي تسير ببطء، الكل يجلس في صمت يهندم نفسه قبل بدء البث المباشر.

مصطفى يرتدي بدلة رسمية وكأنه عريس، ونور عادت للمساحيق التي تخفي وجهها الحقيقي وتظهرها كالمهرج، وفارس ورمزي اهتما بتصنيف شعورهما وتلميع الأحذية، وأنا كذلك أجلس وكأن الطير على رأسي.

حين حانت الساعة التاسعة ارتسمت الابتسامة على وجوهنا، وظهر كل منا متصنعًا خجولًا، وكأنا تحولنا إلى أشخاص آخرين. كان اليوم ثقيلًا، لم نكن نتكلم بطبيعتنا، ولم نكن نعلم أين ننظر، فلا نعلم أين كانت الكاميرات. حتى حين ذهبنا إلى المطبخ لتناول الطعام ارتدينا المرايل المخصصة للطبخ، وأمسكنا بالشوك والسكاكين وارتشفنا الماء ببطء. كان كل شيء تمثيليًا.

كنت أهرب بين الحين والآخر وأذهب إلى غرفتي أو الحمام لأتنفس وأخلع حذائي وأنظر لنفسني في المرآة، ثم أعود لأرسم الابتسامة على

وجهي. أصابع قدمي كادت تدمي بسبب ارتداء الحذاء أطول مدة في حياتي، اثنتي عشرة ساعة كاملة. كنت أكثرهم توترًا وإحراجًا، لأنني لم أتعرض للكاميرات من قبل، أما هم فكانوا معتادين على التصنع والتظاهر أمام الكاميرات. حين قاربت الساعة على التاسعة مساءً كاد نفسي ينقطع من شدة صبري على تحمل هذا اليوم، وما إن وصلت الساعة التاسعة حتى صرخنا جميعًا، خلعنا الأحذية وجلسنا رافعين أقدامنا، وفك مصطفى ربطة عنقه التي كادت تخنقه، وأخذت نور تمسح مساحيقها بالمناديل، وخلع فارس الجاكيت وبدأ يفك رباط الحذاء، ورمزي عاد إلى غرفته ليرتدي البيجامة. شعرنا بالجوع والراحة، وكأننا كنا في سجن ثم خرجنا منه أخيرًا.

* * * *

اليوم السادس

استيقظت من نومي كالمعتاد، ولكن على صراخ نور. قمت مفزوعة متجهة إلى غرفتها، وهناك وجدت مصطفى وفارس يقفان خلف الباب يستحيان من الدخول، فدخلت أنا مسرعة، وإذا بها تبكي بصوت مرتفع: الحقوني، لا أستطيع تحريك قدمي! فقلت لها مهدئة: اهدئي يا نور، ماذا حدث؟ فقالت: كلكم تسирون، إذا هو شيء أصابني أنا فقط، وارتفع صراخها وبكاؤها.

حاولت تدليك قدمها وتحريكها، ولكن دون فائدة. وفجأة سمعنا صوت رمزي، فإذا به أيضاً لا يستطيع التحكم في قدمه. حاولنا مساعدتهما، كنت أساعد نور على تغيير ملابسها ودخولها الحمام، أما مصطفى وفارس فذهبا لمساعدة رمزي. وبعد محاولات عديدة أتوا به إلى غرفة نور، وجلسنا جميعاً نفكر: هل ما حدث لهم من ضمن التجربة؟ ولكن لماذا هم ونحن أسوياء؟ فقال رمزي: ربما لكي تساعدونا.

ولكن لماذا اختاروكم أنتم؟ إنه أمر عجيب. ساعدناهم واعدنا لهم الطعام، وظللنا جميعاً في غرفة نور حتى جاءت الساعة الثالثة، وإذا بقدمي تتوقفان، وكذلك مصطفى وفارس، وإذا بنور ورمزي يتحركان.

ففهمنا أن التجربة كانت مقسمة بحيث يظل أحدها يساعد الآخر، فانقلبت الأدوار، وقامت نور بمساعدتي، وكذلك رمزي الذي كان يعاني كثيراً في مساعدة كل من مصطفى وفارس، رغم أصابته المؤلمة.

كان أصعب ما في هذه التجربة عدم استطاعتي دخول الحمام بمفردي. لقد كان الأمر مؤلماً نفسياً ومحرّجاً جداً، ولكن الحمد لله أنها كانت فقط ست ساعات.

ما هذا الأسبوع الممتد؟ لم يبقَ إلا الغد. ترى ماذا سنفقد غداً؟ وكيف سننهي هذه التجربة الغريبة؟

انتهى اليوم بسلام وعادت أقدامنا لحالتها، وقمت للصلاة وشكر الله على نعمه التي لا تُحصى ولا تُعد.

لم أستطع النوم، إنه اليوم الأخير، ولست أدري هل أنا سعيدة أم حزينة. لقد اعتدت صحبتهم بعد أن كنت وحيدة. خضت تجارب وعشت أشياء لم أمر بها في عمري الذي امتد خمسة وأربعين عاماً.

كيف سأعود إلى حياتي مرة أخرى؟ ما هذه التجربة التي قابلت حياتي؟ ترى ماذا سنفقد غداً؟

نمت بعد إرهاق شديد من التفكير.

* * * *

اليوم السابع

استيقظت على أنفاس متقطعة، لا أستطيع التنفس. أحاول أن أتفس من فمي فلا أستطيع، أشعر كأني أغرق. أصرخ وأخرج مسرعة من غرفتي، فأقابلهم جميعاً في الرواق، كلهم بنفس الحالة، لا يستطيعون التنفس.

إذا إنها التجربة، وأنا بخير، ولا احتضر.

قلت لنفسي: اهدي يا محاسن، بالطبع هناك حل.

الكل جاءته نوبة هلع، ولا أحد منا يستطيع التحدث، نشير إلى بعضنا البعض، نريد هواء. خرجنا إلى التراس، لا نستطيع التنفس. هل أصاب الرئة شيء؟ ماذا نفعل؟ إننا نختنق، لا يوجد أكسجين! تذكرت أنني رأيت جهاز تنفس في مكان ما، ولكني لا أستطيع التفكير. أجري أبحث في كل مكان، وكانت الفكرة في بال رمزي أيضاً، فوجدته يساعدي ويبحث عن شيء ما.

ظللنا نبحث، وكأننا متفقان على ما نبحث عنه، وإذا به يفتح أحد الدلف ويخرج منها خمسة أجهزة أكسجين، فارتدى أحدها وأعطى كل واحد منا قناعاً.

تنفسنا بعمق وجلسنا مطمئنين بعد أن كنا نختنق. إنه الأكسجين،

التجربة الخامسة!

يا الله، كيف لشيء لا نراه ولا نشعر به أن يكون بهذه الأهمية؟ هذه التجربة جعلتني أرى وأشعر وألمس عظمة ربي ورحمته ونعمه علينا. كيف لمن ينكرون وجود الله أن يبرروا وجود كل هذه النعم؟ كيف لأي مخلوق ألا يؤمن بوجود الله وأنه إله عظيم، ملك الملوك،

يعطي ويمنع لحكمة، وكلُّ بمقدار؟
لم نستطع هذا اليوم التنفس دون الجهاز ولو لحظات، وكأننا نغرق في
ماء البحر، فإذا خلعناه لنجرب شعرنا بالغرق والهلع، فنعود لارتدائه
سريعاً.

كاد اليوم أن ينتهي، ساعات قليلة وتأتي الساعة التاسعة ونعود لتنفسنا
الطبيعي، وفي العاشرة موعد اجتماعنا مع كل سكان الأدوار الأخرى،
سنجتمع في البهو الكبير في الطابق السفلي الذي اجتمعنا به منذ
أسبوع.

هل حقاً كان منذ أسبوع؟ أشعر بأني جلست سنين.
ما هذه التجربة؟ ومن الذي اخترعها؟ وكيف كان يتحكم في كل شيء
بنا، حواسنا وحركتنا وحتى تنفسنا؟ سنعرف كل شيء في الاجتماع
الآخر.

عند الساعة التاسعة عاد تنفسنا طبيعياً، فذهبنا إلى غرفنا نستعد للعشاء
الآخر وتحضير حقائبنا. شيء ما تغير في كل شخص منا، وأثق بأننا
لن نعود كما كنا في السابق.

نزلنا إلى البهو، وكان الاجتماع من فريق العمل وكل المشاركين في
التجربة، بل كان احتفالاً وليس اجتماعاً. لقد كان احتفالاً كبيراً، أعدوا
لنا الموائد عليها كل ما لذ وطاب من طعام وهدايا قيمة لكل منا، وكان
الجو مبهجاً جداً، عكس تماماً اليوم الأول منذ أسبوع.

فتح كل منا خزنته وأخذ هاتفه وأشياءه الثمينة، التقطنا الصور
وضحكنا وتبادلنا الأرقام واندمجنا مع المشاركين الآخرين، وكل منا
يخبر الآخر عن أصعب تجربة مر بها وعن شعوره في كل تجربة.
كان الصخب عالياً وأصواتنا متداخلة.

حتى سمعنا صوتاً يشبه الإنذار، ثم صعد أحدهم إلى مكان مرتفع، كان
رجلاً شديد الوسامة، يبدو أنه يملك منصباً كبيراً في هذه التجربة،
وبدأ يتحدث.

قال: في البداية أرحب بكم جميعاً وأشكركم على شجاعتكم وحبكم

للمغامرة وخوض تجربة لا تعرفون عنها شيئاً إلا أنها ستغير ما بداخلكم. أنتم أول فريق في العالم يتم تطبيق هذه التجربة عليه، والآن بعد اجتيازكم لها دون حدوث أي مشاكل بفضل الله، أحب أن أوضح لكم جميع التفاصيل.

أولاً: هذه التجربة كانت اقتراحاً من أحد رجال الأعمال في إحدى البلدان العربية، ولأنه لا يرغب في ذكر اسمه فسوف نحافظ على وعدنا له ونلتزم بعدم التصريح به.

لقد كان اقتراحه أن يجعل مجموعة من الناس، ومنهم بعض المشاهير، يخوضون تجربة لمعرفة نعم الله وكيفية التعامل مع فقدها. ولأن الموضوع كان شديد الصعوبة، خاصة في التحكم في الحواس التي خلقها الله للإنسان، كان لابد من الاستعانة بالعديد من الأطباء المختصين في كل مجال لإعطاء عقاير طبية آمنة لوقت معين لفقد بعض الحواس دون التعرض للخطر، وكذلك استعنا بالذكاء الاصطناعي لتطبيق ما أردناه من هذه التجربة.

ولأن كل هذه الأعمال كانت مكلفة، وفريق العمل كان كبيراً جداً من مبرمجين وأطباء، وتوفير هذا المكان للإقامة بهذا المستوى، وتوفير كل الإمكانيات المتاحة، كل ذلك كان يحتاج إلى مبالغ هائلة، لذلك جعلنا المشاركين يساهمون في التجربة بمبالغ كبيرة نوعاً ما، واخترنا أن يكون من بينهم شخص واحد بسيط و عادي، فكان كل أربعة من الأغنياء معهم شخص عادي من عامة الشعب.

أما الهدايا التي جاءتكم اليوم فهي مقدمة من هذه الشخصية بنفسه، وكل هدية معها تذكاري يرمز لنجاحكم في التجربة ليذكركم دائماً بنعم الله.

وأخيراً أحب أن أوضح لكم أمراً هاماً: إن كل ما حدث لم يتم تصويره حتى يوم البث المباشر. لم يكن هناك بث مباشر، ولكنه كان من ضمن التجربة. لقد احتفظنا بسرّيتكم التامة وحافظنا على خصوصيتكم، ونرجو أن تكونوا استمتعتم بهذه التجربة وأن تكون ذات تأثير في

حياتكم.
لم يكن من الممكن الإفصاح عن كل هذا في بداية الأمر حتى يكون كل شيء طبيعيًا. والآن، وبعد أن انتهى الجزء الأول من التجربة، يتبقى القليل. ولإنهاء هذه التجربة عليكم إرسال تقرير بعد شهر كامل من اليوم تخبروننا فيه عن التغيير الذي حدث في حياتكم بعد هذا الأسبوع.

* * * *

انتهى اللقاء وعدت إلى بيتي ذلك المساء وأنا في حالة من السلام الداخلي، أرغب في تقبيل كل شيء. أرى كل شيء في بيتي مختلفًا، أرى نعم الله في كل شيء. لم أعد أنظر وأرى مثل الماضي، لقد حدث شيء ما.
وبعد شهر

أرسلت الإجابة عن السؤال: ما هو التغيير الذي حصل لك بعد شهر؟
فأجبت: أحببت الله.

أرسلت الرسالة، ثم أكملت كتابة مذكراتي.
كنت قبل التجربة أصلي بالطبع، ولكنها كانت مجرد حركات لا إرادية، مثل قيادة السيارة أو ركوب الدراجة، حركات رياضية، أقوم وأجلس وأركع وأسجد وأردد كلمات أنسى في نهايتها ما قلته. ما السورة القصيرة التي صليت بها؟ هل صليت ثلاث ركعات أم أربع؟ هل توضأت قبل الصلاة أم لا؟

كنت أصلي حتى يسكت ضميري، وأنتهي من الفرض، أصلي لأنجز ما ورائي من واجب. لم أكن أستشعر وقوفي أمام الله رب العالمين. حين عرفت الله وأحبيته أصبحت أتوق للصلاة، أنتظرها بشغف، لا أريد أن أنهيتها، أستمتع بها. أصبحت الصلاة تريح قلبي، أشعر بلقائي

مع الله، أحدثه وأناجيه بهدوء وحب وطمأنينة.
 لن أقول إنني وصلت إلى درجة الإحسان، فهي منزلة كبيرة جدًا لا
 يصل إليها إلا أولياء الله الصالحون، وهي أن تعبد الله كأنك تراه، فإن
 لم تكن تراه فإنه يراك، ولكنني اقتربت جدًا من هذه الدرجة.
 علمت أن نعم الله و عطاياه أمانة، لا يمكن بيعها أو استبدالها، أما من
 فقد أحدها فله ثواب عظيم، لأنني شعرت بما يشعر به الأعمى والأصم
 والأبكم والمشلول، وحتى الألم علمت قيمته وأهميته.
 لم أعد أنظر إلى الأشياء كما كنت أراها سابقًا، اختلفت نظرتي، حتى
 نظرتي لنور الممثلة التي كنت أراها متملقة ومغرورة وتافهة، لقد
 لمست الجزء الطيب والفطري الذي بداخلها.

* * * *

وأخيرا

التجربة لن تجعلنا ملائكة، فالإنسان ينسى ويعود إلى ما اعتاده، وبالطبع لن يغير أسبوع واحد شخصًا من حال إلى حال، ولكن كان لها تأثير كبير ناجح على أكثرنا.

هناك من لم يتأثر إلا أيامًا قليلة ثم عاد إلى سابق حياته، ومعظمهم الرجال، ولكن هذا لا يدل على أنهم سيئون أبدًا، إنها طبيعة البشر، يتعلم وينسى، يتقلب بين الخير والشر، فالإيمان يزيد وينقص في قلوبنا.

كل ما نرجوه الآن أن نشكر الله على كل عطاياه لنا، وعلى تدبير أمورنا، وأسأله الثبات على ما أنا عليه الآن.

تمت بحمد الله

الكاتبة / سمر سرحان

٢٥-٢-٢٠٢٦ م

لمتابعة الكاتبة سمر سرحان على الفيسبوك: ربح الجنة

<https://www.facebook.com/share/1Grwth7FVR/>

لمتابعة دار أكاديمية الكاتب على الفيس بوك:

دار أكاديمية الكاتب للنشر الإلكتروني

لمتابعة أكاديمية الكاتب على التليجرام وحضور المحاضرات الشهرية
المجانية:

أكاديمية الكاتب للتدريب والاستشارات

اللينك:

<https://t.me/AIKatebAcademyforTraining2023>